دلالة الأمثال في القرآن

د . عثمان أبوالقاسم عبدالله الذئب – كلية الآداب الجميل – جامعة صبراتة

التقديم :

باسم الله ، والصلاة و السلام على سيدنا رسول الله و على آله و من اتبع هداه .

أما بعد ...

فالقرآن الكريم ، هو كلام الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهو تنزيل من عزيز حكيم ؛ ليعلم الخلق بأنه لا يضاهيه كلام ، ولا يجاريه خطيب ،ولا يبلغ شذاه شاعر ، ولا منطق فلسوف ، مهما تعلم المتعلم ، و تجبر ، وتكبر ، وتغطرس ، و تفرعن ، يبقى مخلوقا ويسمو الخالق عما سواه ، سبحانه مدبر الكون ، مُسير الأمور ، مذلل الصعاب ، قادر على كل شيء ، يقول للشيء كن فيكون . هكذا علّمنا القرآن الكريم ، و ما ورد من الكتب المقدسة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم . جميعها تدعو إلى وحدانية الخالق ، لا شريك له ، ولا معه ، ولا ند ، هو الأول بدون بداية ، والآخر من غير نهاية ، مبين الخفي ، شارح الغامض ، ضارب الأمثال ، كي يتعض المعتبر ، ويعلم الجاهل ، ويؤوب العاصي ، من أرادوا بأنفسهم خيرا ، ونجاة ، وصلاحا ،وفلاحا ، ومن أدبر عن هذا ؛ فكل نفس بما كسبت رهينة .

إن للأمثال شأنا كبيرا وعظيما عند العرب ، فهي مع إيجاز ألفاظها تتسع المعاني ، و تحتمل الأفكار . وكلامهم منه ما فيه من الإسهاب الذي تطول حكاياته ، و منه ما فيه من الإيجاز غير المخل ،(فكلامهم شرطه البيان الذي يحسن السكوت عليه) (1) ، مع العلم بأن العربي له من قدرات الفهم الكثير ، من إيماء ، وإشارة ، ولغة العيون ، و الحواجب التي تقترب من الأمثال ، التي تؤدي المعنى . جاء القرآن الكريم ليضرب لنا الأمثال في بعض آيات من السور التي وردت في مناسبات مختلفة ، تمشيا مع ما اعتاده الناس في مخاطبتهم في مختلف مناحي الحياة ، من شدة و رخاء ، وحزن و سعادة ، وشجاعة و جبن . و تكاد الأمثال أن تكون هي حياة الناس ، لما فيها من المعاني التي تشفي الغليل في وقت قصير ، وتعبر عما يقصده المتحدث و يتلقاه المستمع . ولا تخلو قبيلة في الجزيرة العربية من هذا الرصيد اللغوي الذي تحاكي به أيامها في أفراحها و أتراحها فهو معين لا ينضب مخلدا في ديوانها التاريخي .

والأمثال تحفظ عن ظهر قلب مثل ما تحفظ القصائد الشعرية ، دون زيادة أو نقصان ، ويصبح المثل يضرب متى اتفق مع الموقف الذي حدث ، و يصبح عندهم مثلا سائرا .

إن أهمية الأمثال في الكتاب العزيز لها شأن عظيم ، فهي تذكير للمؤمن الغافل ، وحجة على الطغاة و ردع للمعتدي ، الذي لا يرى إلا نفسه ، ولا يرى غيره من بني جلدته ، بل يعثو في الأرض فسادا

متن البحث :

لمعرفة المثل عند أهل اللغة لابد لنا من الرجوع إلى قواميس اللغة التي اهتمت بكلام العرب وسجلت تراثهم عبر الزمن قبل ظهور اللحن ، من هذه القواميس (لسان العرب) لابن منظور (2) في مادة (مثل) جاء فيه :

المَثَلُ الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه ، وفي معجم الصحاح هو ما يُضرَب به من الأَمْثال ، قال الجوهري ومَثَلُ الشيء أَيضاً صفته والمِثالُ المقدارُ وهو من الشِّبْه والمثل ما جُعل مِثالاً أَي مقداراً لغيره يُحْذَى عليه والجمع المُثُل .

قال ابن قيم الجوزية : شبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر (3) ، وجاء في كتاب : (الأمثال القرآنية القياسية- الجربوع) (4) بقوله :يطلق لفظ "مثل" علماً على كل قول اشتهر، وتناقلته الألسن وكثر تمثل الناس به. والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره .

وفي بحثنا هذا و نحن نتحدث عن الأمثال في القرآن الكريم ، وبيان الجانب الدلالي لابد من التطرق لمعرفة الدلالة (و هو علم قائم بذاته، هو أحد فروع علم اللغة ، وعلم الدلالة وهو علم دراسة المعنى، كما عرف ، أيضا بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، وهو يسمى في العربية بـ(علم الدلالة) أو(علم المعنى) أو(علم السيمانتيك) (5) .

أولا - ورود المثل مفردا :

ورد المثل مفردا في القرآن الكريم في أغراض مختلفة ، نبينه على هذا النحو :

- سورة البقرة ، ورد فيها المثل مرتين المثل (26 ، 214 ،

قال الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)).

الخطاب للمؤمنين الذين آمنوا برسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين لقوا ألوان التعذيب و التنكيل من عند الكفار دفاعا عن دين الله ورسوله .وقد جاء الفعل (حسب) الذي هو من أخوات (ظن) فهذا المثل المضروب للمؤمنين تذكير لهم في شأن ما وقع للأمم السابقة ، بقوله أتظنون دخول الجنة وانتم لم تلاقوا ماحدث للذين خلوا من قبلكم ؟. و الجانب الدلالي بين المؤمنين والأمم السابقة في هذه الآية الكريمة هو التعب و العناء و الشدة بين الطرفين . جاء في كتاب التحرير و التنوير : وَالْمَثَلُ: الْمُشَابِهُ فِي الْهَيْئَةِ وَالْحَالَةِ .(ا ه) (6)

- سورة آل عمران ورد فيها المثل مرتين ، (59 ، 117) في قوله تعالى :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59))

إن الحالة التي وجد فيها عيسى (عليه السلام) تشبه الحالة التي وجد عليها أبوالبشر (آدم) عليه السلام ، أي ليس الحالة التي اعتادها الناس يولدون من أم و أب ،فالجانب الدلالي بينهما هو الوجود و الخلق و التكوين . قال صاحب كتاب تفسير الوسيط للقرآن الكريم : خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم وكذلك حال عيسى . فإن قلت : كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت : هو مثيله فى أحد الطرفين ، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، ولأنه شبه به لأنه وجد وجوداً خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ، ليكون أقطع للخصم ، وأحسن لمادة شبهته إذا نظر فيم هو أغرب مما استغربه . ا ه (7)

- سورة الأعراف ورد فيها المثل مرتين (176 ، 177) في قوله تعالى :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ (177)

الحالة التي عليها الكافر و الجاحد و المعاند من عدم ترك ما ينهى عنه ، هي ما عليها الكلب في عدم استطاعته ترك اللهث . إذن الحالة واحدة هي عدم الاستطاعة ، الكافر لا يتخلى عن كفره و الكلب لا يتخلى عن اللهث ، والجانب الدلالي الذي جمع بينهما حتي صار مثلا هو عدم التخلي و عدم استطاعة ما استمر عليه كل منهما .

جاء في التفسير الوسيط بقوله : مثل الكلب بأن حالة الكافر أو المنسلخ كحالته لا يترك ضلاله وكفره سواء أوعظ وأنذر أو لم يوعظ وينذر. وهو وجيه سديد. ا ه (8)

- سورة يونس . ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24))

تتنوع الحياة الجميلة في هذه الدنيا و تجلب معها السعادة و الهناء و الرخاء ،كما يجلب الغيث النافع ألوان المنافع للناس و الأنعام ، وظنا من البعض بأن هذه النعم هي من قدرتهم عليها ، وتأتي النتيجة :كأن لم تغن بالأمس . و الجانب الدلالي بين الحياة التي نعيشها و الماء الذي أنزله الله من السماء فيه دلالتان . الأولى : كلتاهما فيهما من البهجة و الزينة .و الثانية كلتاهما فيهما من الهلاك و الفناء .. ويبقى القادر بقدرته . وقد أورد صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن قوله : والجامع البهجة والزينة ثم الهلاك وفيه العبرة. ا ه (9)

- سورة الرعد . ورد مرة واحدة في قوله تعالى :

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرِينَ النَّارُ (35))

الجنة دار الأنبياء ورسل الله ومن آمن بالله وملائكته ورسله و اليوم الآخر و القدر بخيره وشره . و الجانب الدلالي بين الجنة وما وعده الله للمتقين هو الحقيقة الأمر الكائن الذي لاشك فيه ، لأن الجنة حقيقة ، وما وعده الله حقيقة . قال صاحب كتاب التحرير و التنوير : والمثَل : هنا الصفة العجيبة ، قيل : هو حقيقة من معاني المثل ، كقوله تعالى : ولله المثَل الأعلى (النحل : 60) ، وقيل : هو مستعار من المثَل الذي

هو الشبيه في حالة عجيبة أطلق على الحالة العجيبة غير الشبيهة لأنها جديرة بالتشبيه بها . اه (10)

- سورة النحل ورد مرتين (60 ، 75) في قوله تعالى :

(لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60))

الذين لا يؤمنون بالآخرة انتفت عنهم الحالة الحسنة وهي الإيمان ، كما تنتفي الحسنة من الحالة السيئة وتصبح كلها قبحا . الجامع بين من لا يؤمن بيوم الآخر و السوء هو القبح .

قال صاحب كتاب التحرير و التنوير في قَوْلُهُ تَعَالَى : لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ شَتْمًا لَهُمْ. وَالْمَثَلُ: الْحَالُ الْعَجِيبَةُ فِي الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، وَإِضَافَتُهُ إِلَى السُّوءِ لِلْبَيَانِ. (11)

- سورة الكهف ورد فيها المثل ثلاث مرات (32 ،45 ، 54) في قوله تعالى :

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32))

بين القرآن جميع مناحي الحياة للإنسان وصخر له ما فيها وكان بيانا واضحا لا لبس فيه ، رغم ذلك بعض الناس لم يعتبر لهذا المثل ، وهذا توجيه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبن لمن يخاطيهم هذا المثل . والجانب الدلالي بين هذين الرجلين هو التيجة في نهاية الحياة .الأول الذي يتفاخر كانت النتيجة الخسران لأنه لم يحمد الله على نعمه ، و الثاني كانت النتيجة النجاح و الفلاح و الرضوان . جاء في كتاب أيسر التفاسير : وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم : اضْرِبْ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ ، الَّذِينَ سَأَلُوكَ أَنْ تَطْرُدَ المُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ ، مَثَلاً بِرَجُلَيْنِ أَغْنَى اللهُ أَحَدَهُمَا وَآتَاهُ بُسْتَانَيْنِ مِنْ كَرْمِ العِنَبِ ، وَأَحَاطَهُمَا بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ ، وَجَعَلَ وَسَطَ هَذَيْنِ البُسْتَانَيْنِ زَرْعاً يُنْتَفَعُ بِهِ . اه (12)

- سورة الحج . ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73))

هذا بيان للذين يعبدون من دون الله ، وما تعبدونهم عاجزون عن خلق الذباب . الدلالة في هذا المثل العجز والضعف عند هذه الأصنام ؛ لأن الخالق واحد لا شريك معه في ملكه . جاء في كتاب الحرير و التنوير : وَأَنْ يَكُونَ الْمَثَلُ تَشْبِيهًا تَمْثِيلِيًّا، أَيْ أَوْضَحَ اللَّهُ تَمْثِيلًا يُوَضِّحُ حَالَ الْأَصْنَامِ فِي فَرْطِ الْعَجْزِ عَنْ إِيجَادِ أَضْعَفِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ لِكُلِّ أَحَدٍ أ ه . (13)

- سورة النور ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِي ءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35))

قال صاحب المحرر الوجيز :

والله تعالى ليس كمثله شيء فبين أنه ليس كالأضواء المدركة ولم يبق للآية معنى إلا أنه أراد { الله } ذو { نور السماوات والأرض } أي بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها ، فالكلام على التقريب للذهن ، كما تقول الملك نورالأمة أي به قوام أمورها وصلاح جملتها ، والأمر في الملك مجاز وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة ، إذ هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نوراً هادياً لأن ظهور الوجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب سواه . ا ه (14)

من أرد السبيل القويم يهتدي إليه ؛ لأن فيه من الوضوح و البيان ما لا يخفى على أحد ، المشكاة يهتدى بها في الظلام . الجانب الدلالي الذي يعتبره الإنسان في هذه الدنيا هو الهداية . كما يهتدي الله بنوره المهندي ويخرجه من الباطل إلى الحق ، يهتدى بالمشكاة من الظلام الدامس إلى الضوء .

- سورة العنكبوت ورد فيها مثل واحد في قوله تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (41))

إن حجة الذين يتخذون أولياء آلهة لهم من دون الله فهي حجة لها من الضعف كمثل خيوط العنكبوت التي تجعلها بيوتا لها لا تقاوم فهي منتهى الضعف . إذا العامل

المشـترك الدلالي بين من لا يعبد الله و بيت العنكبوت هو الضـعف ، من يعبد غير الله حجته ضعيفة ، و خيوط بيت العنكبوت ضعيفة ؛ لذلك ضُرب المثل .

جاء في التفسير القرآني للقرآن (15)

مناسبة هذا المثل هنا ، هو أنه لما ذكر الله سبحانه وتعالى بعضا من تلك الأقوام الضالة ، التي كذبت برسل الله ، واستمسكت بما كانت عليه من شرك ـــ كان هذا المثل مرآة يرى عليها الناس ـ وخاصة أولئك الذين غلظت طباعهم ، وتبلدت مشاعرهم ـ صورة مجسدة لهؤلاء المشركين وما عبدوا من دون الله ..إن هؤلاء المشركين ، كالعنكبوت .. فى ضـعفها وصـغر شـأنها ..فهؤلاء المشـركون ، هم في يد القدرة القادرة ، وإزاء سلطان الله الغالب القاهر ـ أقل من العنكبوت شأنا ، وأضعف منها حيلة وحولا ..ثم إن هؤلاء المشركين في ضعفهم وصغر شأنهم ، قد اتخذوا من الأصنام ، وغير الأصنام ، آلهة يعبدونها من دون الله ، ليكون لهم منها قوة وسند .ا ه .

- سورة يس ورد فيها المثل مرتين (13 ، 78) في قوله تعالى :

(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13))

جاء في تفسير هذه الآية لصاحب كتاب التحرير و التنوير بقوله :

وَالْمَثَلُ: الشَّبِيهُ، فَقَوْلُهُ: وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مَعْنَاهُ وَنَظِّرْ مَثَلًا، أَيْ شَبِّهْ حَالَهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ بِكَ بِشَبِيهٍ مِنَ السَّابِقَيْنَ، وَلَمَّا غَلَبَ الْمَثَلُ فِي الْمُشَابِهِ فِي الْحَالِ وَكَانَ الضَّرْبُ ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ حَالَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَحَالِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الْمُمَثَّلِ بِهِمْ.

والْقَرْيَةِ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ (أَنْطَاكِيَةُ) وَهِيَ مَدِينَةٌ بِالشَّامِ مُتَاخِمَةٌ لِبِلَادِ الْيُونَانِ. وَالْمُرْسَلُونَ إِلَيْهَا قَالَ قَتَادَةُ: هُمْ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ بَعَثَهُمْ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَكَانَ ذَلِكَ حِينَ رُفِعَ عِيسَى. وَذَكَرُوا أَسْمَاءَهُمْ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ أ ه .

الجانب الدلالي في الآية الكريمة هو الحالة التي عليها الفريقان من الكذب و سـوء المعاملة وعدم تصديق رسل الله المبعوثين أإيهم . (16)

- سورة الزخرف ورد المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8))

قال صاحب تفسير البحر المديد :

فمثل ما جرى على الأولين يجري على هؤلاء ؛ لاشتراكهم في الوصف و الإشارة ؛ لأنهم خلفاؤهم ، فكل مَن أُوذي واستُهزئ به يتذكر ما جرى على مَن كان أفضل منه من الأنبياء وأكابر الأولياء . ا ه . الوصف المشار إليه في هذه الآية وهو الجامع بينهما هو الهلاك و البطش والعقاب الشديد لعصيانهم للأنبياء . (17

- سورة الجمعة ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5))

جاء في الدرّ المنثور في التفسير بالمنثور للسيوطي بقوله : خرج عبد بن حميد وابن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها قال : اليهود ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها قال : أمرهم أن يأخذوا بما فيها فلم يعملوا به

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا قال : كتبا لا يدري ما فيها ولا يدري ما هي يضرب الله لهذه الأمة أي وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب كان مثلكم كمثلهم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله : يحمل أسفارا قال : كتبا لا يعلم ما فيها ولا يعقلها

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة كمثل الحمار يحمل أسفارا قال : يحمل كتبا على ظهره لا يدري ماذا عليه

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : أسفارا قال : كتبا وأخرج الخطيب عن عطاء بن أبي رباح مثله

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله : أسفارا قال : كتبا والكتاب بالنبطية يسمى سفرا . ا ه (18) . الجانب الدلالي الذي يجمع بين من حمل التوراة و لا يعلم ما فيها إمّا للجهل بها وإمّا تعنتا وجحودا، وفي كلتا الحالتين غياب العقل ، شأنه شأن الحمار الذي يحمل على ظهره كتبا ولا يعلم ما فيها ؛ لأنه لا عقل له

سورة التحريم ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)) أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة أي لا تكونوا في الصبر عند

الشـدة ضـعف من امرأة فرعون حين صـبرت على أذى فرعون وكانت آسـيا آمنت بموسـى وقيل : هي عمة موسـى آمنت به قال أبو العالية : اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها فقال لهم : إنها تعبد ربا غيري فقالوا له : اقتلها فأوتد لها أوتادا وشـد يديها ورجليها فقالت : { رب ابن لي عندك بيتا في الجنة } ووافق ذلك حضـور فرعون فضـحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضـحك فقبض روحها وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه أبو عثمان النهدي : كانت تعذب بالشمس فإذا أذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها وقيل : سمر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رحي فأطلعها الله حتى رأت مكانها في الجنة وقيل : لما قالت : { رب ابن لي عندك بيتا في الجنة } أريت بيتها في الجنة يبنى وقيل : إنه من درة عن الحسـن ولما قالت : { ونجني } نجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة . ا ه . (19) الجانب الدلالي الذي ضـرب به المثل بين المؤمنين و امرأة فرعون هو الصـير عند الشدة و عند الابتلاء و عند المحن

ثانيا - ورود المثل جمع :

ورد المثل جمعا في القرآن الكريم على النحو الآتي:

- سورة الرعد . ورد المثل جمعا مرة واحدة في قوله تعالى

(أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْـرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ (17))

جاء في التفسير الوسيط : المثل الأول ، حيث شبه - سبحانه - الحق وأهله فى الثبات والنفع بالماء الصافى الذى ينزل من السماء فتمتلئ به الأودية ويبقى محل انتفاع الناس به إلى الوقت المحدد فى علم الله - تعالى - وشبه الباطل وشيعته فى الاضمحلال وعدم النفع ، بزبد السـيل المنتفخ المرتفع فوق سـطح الماء ، فإنه مهما علا وارتفع فإنه سـرعان ما يضـمحل ويفنى وينسـلخ عن المنفعة والفائدة . المثل الثانى فقال : { وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النار ابتغآء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ } . ويوقدون من الإيقاد وهو جعل الحطب وما يشـبهه فى النار ليزيد اشـتعالها وشـبيه بالمثل السـابق فى خروج الزبد والخبث وطرحه بعيدا عن الأشـياء النافعة ، ما توقدون عليه النار من المعادن والجواهر ، لكي تسـتخرجوا منها ما ينفعكم من الحلي والأمتعة المتنوعة ، فإنكم فى مثل هذه الحالة ، تبقون على النقي النافع منها ، وتطرحون الزبد والخبث الذى يلفظه

الكير ، والذى هو مثل زبد السيل فى عدم النفع . فقد شبه - سبحانه - فى هذا المثل الثانى الحق وأهله فى البقاء والنفع بالمعادن النافعة الباقية ، وشبه الباطل وحزبه فى الفناء وعدم النفع بخبث الحديد الذى يطرحه كير الحداد ، ويهمله الناس ، ثم بين - سبحانه - المقصود من ضرب هذه الأمثال فقال : { كذلك يَضْرِبُ الله الحق والباطل } .أى : مثل ذلك البيان البديع ، يضرب الله الأمثلة للحق وللباطل إذا اجتمعا بأن يبين بأنه لا ثبات للباطل - مهما علا وانتفخ - مع وجود الحق ، كما أنه لا ثبات للزبد مع الماء الصافي ، ولا مع المعادن النقية .ا ه (20) .

- دلالات هذه الأمثلة متفقة . أهل الحق و الماء الصافي ، يلتقيان في النفع و الثبات و الدوام .أما أهل الباطل و الزبد يلتقبان في الهلاك و عدم الانتفاع و الاضمحلال ، و بين في المثل الثاني أهل الحق والمعادن النافعة ، كلاهما خير ، أما أهل الباطل و خبث الحديد لا نفع فيهما ، فهما شرّ ، ضرب الله هذه الأمثلة لتكون عبرة لمن يعتبر .

- سورة إبراهيم . ورد المثل جمعا مرتين : 25 ، 45 ، في قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26))

تحقق القول في هذه الآية بدخول لم على الفعل الماضي ، وقد صار مثلا ، في الكلمة الطيبة و الشجرة الطيبة ، والطيب ضده الخبيث ، والجامع بين الكلمة الطيبة و الشجرة الطيبة وهوالجانب الدلالي المتمثل في المنفعة . الكلمة الطيبة فيها من المنافع ما يوقف الحروب ويبعد الشر ، ويجلي الهموم .كذلك الشجرة الطيبة فيها من المنافع الكثير للناس فمن الذي لا يشتهي الثمار الطيب ؟

وجاء في التفسير الكبير : أن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب . (21)

- سورة النحل . ورد المثل فيها جمعا مرة واحدة في قوله تعالى :

(فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (74))

هذا النهي من الله الخالق الذي لا يشـــاركه شـــريك في ملكوته إلى أولئك الذين يختلط إيمانهم في تمثيل وتشبيه من لا ينفع ولا يضـر بالله عزّ و جلّ . و الجانب الدلالي في هذه الأمثال هو النفع و الضر ، والحياة و الموت و غيرها في تشبيه من يستطيع و من لا يسـتطيع . جاء في كلام صـاحب التحرير و التنوير بقوله : وَنَفْيُ الشَّـرِيك لَهُ فِيمَا خَلَقَ وَأَنْعَمَ، وَبِالْأَوْلَى نَفْيُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَأَنْ يُشَـبَّهَ بِالْحَوَادِثِ فَلَا جَرَمَ اسْـتَتَبَّ لِلْمَقَامِ أَنْ يُفَرَّعُ عَلَى ذَلِكَ زَجْرُ الْمُشْـرِكِينَ عَنْ تَمْثِيلِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ بِاللَّهِ فِي شَـــيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُمَثِّلُوهُ بِـالْمَوْجُودَاتِ. وَتَنْبِيـهٌ عَلَى أَنَّ جَهْلَهُمْ هُوَ الَّـذِي أَوْقَعَهُمْ فِي تِلْكَ السَّـــخَـافَـاتِ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَأَنَّ اللَّهَ إِذْ نَـهَاهُمْ وَزَجَرَهُمْ عَنْ أَنْ يُشَـبِّهُوهُ بِمَا شَـبَّهُوهُ إِنَّمَا نَـهَاهُمْ لِعِلْمِهِ بِبُطْلَانِ اعْتِقَادِهِمْ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اسْـتِدْعَاءٌ لِإِعْمَالِ النَّظَرِ الصَّـحِيحِ لِيَصِـلُوا إِلَى الْعِلْمِ الْبَرِيءِ من الأوهام. أ ه (22)

- سورة الإسراء . ورد فيها المثل جمعا مرة واحدة في قوله تعالى :

(انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (48))

هؤلاء الكفرة الذين لم يؤمنوا بالرسـول مكابرة وهم أسـياد الزمن الذي يعيشـون فيه ، اعتادوا السحر و الجنون و الكهنة و هم يعلمون أنها تضلل الناس في معرفة الحقيقة ، وما عليهم في هذه الحالة إلا تشـبيه الرســول بما يأتي به من حقائق بائنة وواضـــحة وضـوح الشـمس للمبصـر . الجانب الدلالي في هذه الأمثال التي يشـبهون بها الرسـول محمد (صلى الله عليه وسلم) هي الحيرة التي يروها في ما يقدمه الرسول من حقائق من عند ربه ، فتحيروا في الكيفة التي يقنعون الناس بها كي لا يتبعوا الرسـول . جاء في كتاب التحرير و التنوير :

قَوْلِهِمْ: هُوَ شَـاعِرٌ، هُوَ كَاهِنٌ، هُوَ مَجْنُونٌ، هُوَ سَـاحِرٌ، هُوَ مَسْـحُورٌ. وَسُـمِّيَتْ أَمْثَالًا بِاعْتِبَارِ حَالِهِمْ لِأَنَّهُمْ تَحَيَّرُوا فِيمَا يَصِـفُونَهُ بِهِ لِلنَّاسِ لِئَلَّا يعتقدوه نبيئا، فَجَعَلُوا يَتَطَلَّبُونَ أَشْبَهَ الْأَحْوَالِ بِحَالِهِ فِي خيالهم فيلحقونه بِهِ، كَمَنْ يُدْرَجُ فَرْدًا غَرِيبًا فِي أَشْبَهِ الْأَجْنَاسِ

لِأَنَّ مَا ضَرَبُوهُ مِنَ الْأَمْثَالِ كُلُّهُ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ وَقُوَّةٌ فِي الْكُفْرِ

وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا: أَنَّهُمْ تَحَيَّرُوا كَيْفَ يَصِفُونَ حَالَكَ لِلنَّاسِ لِتَوَقُّعِهِمْ أَنَّ النَّاسَ يُكَذِّبُونَهُمْ، فَلِذَلِكَ جَعَلُوا يَنْتَقِلُونَ فِي وَصْفِهِ . ا ه (23)

سورة النور ورد فيها المثل مرة واحدة في قوله تعالى :

(اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35))

قال صاحب المحرر الوجيز :

والله تعالى ليس كمثله شيء فبين أنه ليس كالأضواء المدركة ولم يبق للآية معنى إلا أنه أراد { الله } ذو { نور السماوات والأرض } أي بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها ، فالكلام على التقريب للذهن ، كما تقول الملك نورالأمة أي به قوام أمورها وصلاح جملتها ، والأمر في الملك مجاز وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة ، إذ هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نوراً هادياً لأن ظهور الوجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب سواه . ا ه (24)

من أرد السبيل القويم يهتدى إليه ؛ لأن فيه من الوضوح و البيان ما لا يخفى على أحد ، المشكاة يهتدى بها في الظلام . الجانب الدلالي الذي يعتبره الإنسان في هذه الدنيا هو الهدايا . كما يهتدي الله بنوره المهندي ويخرجه من الباطل إلى الحق ، يهتدى بالمشكاة من الظلام الدامس إلى الضوء

- سورة الفرقان . ورد المثل فيها مرتين : 9 – 39 في قوله تعالى :

(انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (9))

تم شرح هذه في سورة الإسراء الآية (48) وبيان العلاقة الدلالية .

وقوله تعالى :(وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (39))

جاء في التفسير الواضح بقوله : و تاللّه لقد آتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة ، وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا له ليشد أزره ، ويحمل معه عبء الرسالة ، فقلنا : اذهب أنت وأخوك بآياتنا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، اذهبا إلى القوم - فرعون وملئه - الذين كذبوا بآياتنا وعصوا رسلنا فكانت عاقبتهم أنا دمرناهم تدميرا ، فانظروا يا كفار مكة عاقبة الكفر وتكذيب الرسل.

واذكر لهم قوم نوح. لما كذبوا الرسل جميعا ، إذ من يكذب رسولا فقد كذب الرسل ، ومن يؤمن برسول حقا فقد آمن بجميع الرسل ، لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم

للناس آية ، فهل من مدكر ؟ واعتدنا للظالمين أى : لكل من سلك سبيلهم في تكذيب الرسل عذابا أليما ، وقوم نوح يدخلون في ذلك دخولا أوليا. و اذكر لهم عادا لما كذبوا هودا وثمود لما كذبوا أخاهم صالحا ، وأصحاب الرس قيل : هم قوم من عبدة الأصنام أصحاب آبار وماشية فبعث الله لهم شعيبا فدعاهم إلى الإسلام فكذبوه ، وآذوه فخسف الله بهم وبدارهم الأرض ، وقيل هم أصحاب الأخدود وقيل غير ذلك ، وأيا ما كانوا. فهم قوم أخبر الله عنهم بالهلاك ، فاعتبروا يا أولى الأبصار. واذكر لهم قرونا بين ذلك ، أى : أمما لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس ....وكلا من الذين ذكروا بالنص كقوم نوح وعاد ، ومن الذين ذكروا بالإجمال ضربنا له الأمثال ، وبينا له الحجج والآيات ، وأجبناهم على كل الشبه والاعتراضات فلما لم يجد هذا ولا ذاك تبرناهم تتبيرا ، وأهلكناهم هلاكا تاما. ا ه (25)

العلاقة الدلالية بين ما ذكر آنفا بين هذه الأمم هي العقاب الشديد الذي لحق بهم لعصيانهم رسل الله التي بعثت إليهم .

- سورة العنكبوت . ورد المثل جمعا مرة واحدة في قوله تعالى :

(وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ (43))

قال ابن القيم : فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم.فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا.وهو أوهن البيوت وأضعفها. وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء. فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا على ضعفهم . أ ه (26)

الذين اتخذوا آلهة من دون الله هؤلاء حالهم كحال بيت العنكبوت من الضعف و الهوان وهو الجانب الدلالي الذي يجمع بينهما ، وهذه الأمثال نضربها للناس ، و الذين يفهمون هذه الأمثال هم العالمون بحقيقة هذا الكون له معبود واحد لا شريك له في ملكه .

- سورة الحشر . ورد المثل جمعا مرة واحدة في قوله تعالى :

(لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21))

جاء في تفسير التحرير و التنوير : وَهَذَا مَثَلٌ سَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: وَتِلْكَ الْأَمْثالُ إِلَخْ. وَقَدْ ضَرَبَ هَذَا مَثَلًا لِقَسْوَةِ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَانْتِفَاءِ تَأَثُّرِهِمْ بِقَوَارِعِ الْقُرْآنِ.

وَالْمُرَادُ بِالْجَبَلِ: حَقِيقَتُهُ، َالْجَبَلُ: مِثَالٌ لِأَشَدِّ الْأَشْيَاءِ صَلَابَةً وَقِلَّةَ تَأَثُّرٍ بِمَا يَقْرَعُهُ. وَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَ الْمُخَاطَبُ بِالْقُرْآنِ جَبَلًا، وَكَانَ الْجَبَلُ يَفْهَمُ الْخِطَابَ لَتَأَثَّرَ بِخِطَابِ الْقُرْآنِ تَأَثُّرًا نَاشِئًا مِنْ خَشْيَةٍ لِلَّهِ خَشْيَةٍ تُؤَثِّرُهَا فِيهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ.

وَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَ الْجَبَلُ فِي مَوْضِعِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَأَعْرَضُوا عَنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِهِ لَاتَّعَظَ الْجَبَلُ وَتَصَدَّعَ صَخْرُهُ وَتُرْبُهُ مِنْ شِدَّةِ تَأَثُّرِهِ بِخَشْيَةِ اللَّهِ.

وَضَرَبَ التَّصَدُّعَ مَثَلًا لِشِدَّةِ الِانْفِعَالِ وَالتَّأَثُّرِ لِأَنَّ مُنْتَهَى تَأَثُّرِ الْأَجْسَامِ الصُّلْبَةِ أَنْ تَنْشَقَّ وَتَتَصَدَّعَ إِذْ لَا يَحْصُلُ ذَلِكَ لَهَا بِسُهُولَةٍ.. أ ه (27)

إذا الجامع بين الجبل و هؤلاء المعاندين هو القسوة في كل منهما ، فالجبل قاس بطبيعته التي خلقها الله عليها ، وهؤلاء المعاندون في ضلالهم صارت قلوبهم قاسية . وبذلك ضرب الله هذه الأمثال لمن يتفكر من الناس .

ثالثا - ورود المثل مفرد ا مضاف لضمير المفرد :

ورد في سورة الأنعام مرة واحدة في قوله تعالى :

(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122) قال صاحب التحرير التنوير :

وَالْكَلَامُ جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ تَمْثِيلِ حَالِ مَنْ أَسْلَمَ وَتَخَلَّصَ مِنَ الشِّرْكِ بِحَالِ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيِيَ، وَتَمْثِيلُ حَالِ مَنْ هُوَ بَاقٍ فِي الشِّرْكِ بِحَالِ مَيِّتٍ بَاقٍ فِي قَبْرِهِ. فَتَضَمَّنَتْ جُمْلَةُ: مَنْ كَانَ مَيْتاً إِلَى آخِرِهَا تَمْثِيلُ الْحَالَةِ الْأُولَى، وَجُمْلَةُ: كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ إِلَخْ تَمْثِيلُ الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ، فَهُمَا حَالَتَانِ مُشَبَّهَتَانِ أ ه (28) . الجانب الدلالي الذي جمع بينهما هو الحالة ، أي حالة من بقي على كفره ، وحالة من تخلص من كفره ، والحالة القبلية لهما هي الموت .

: ورد المثل مفرد ا مضافا للجمع :

- سورة البقرة قوله تعالى :

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17))

جاء في تفسير الكشاف : لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان . ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبيّ ، ولأمر مّا أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء. أ ه . (29) كما أورد صاحب كتاب التحرير و التنوير بقوله : مَا يَتَضَمَّنُهُ مَجْمُوعُ تِلْكَ الصِّفَاتِ مِنْ سُوءِ الْحَالَةِ وَخَيْبَةِ السَّعْيِ وَفَسَادِ الْعَاقِبَةِ . أ ه .إذا الجانب الدلالي الذي يجمع بينهما في هذا المثل هو الحالة السيئة وخيبة السعي وخسران العاقبة .

- سورة الفتح في قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (29))

الجانب الدلالي في هذه الآية وهو الشدة على الكفار ، و الرحمة بينهم وهذا مع كل الأنبياء و تدرج الرسالة بالعدد القليل إلى أن تصل كل الناس ،وهذا التدرج مثل نمو الزرع .

جاء في تفسير البحر المديد : ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ ، الإشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة ، ذلك وصفهم العجيب الجاري فى الغرابة مجرى الأمثال ، هو نعتهم فى التوراة ، أي : كونهم أشدّاء على الكفار ، رحماء بينهم ، سيماهم فى وجوههم. ثم ذكر وصفهم فى الإنجيل ، وهو مثل ضربه الله لأصحابه (صلّى الله عليه وسلم)فى بدء الإسلام ، ثم كثروا واستحكموا ، بترقى أمرهم يوما بيوم ، بحيث أعجب النّاس أمرهم ، فكان الإسلام يتقوى كما تقوى الطاقة من الزرع ، بما يحتفّ بها مما يتولّد منها. أ ه (30)

نتائج البحث :

- الأمثال من الأغراض البلاغية ذائعة الصيت ، وأشهر من نار على علم عند العرب ، يقفون عندها متى كانت الحاحة إليها ، منتشـــرة في دوواينهم الشـــعرية ، وخطبهم النثرية ، وعند فصحائم أصحاب الكلام .

- طابع الأمثال هو الإيجاز غير المخل الذي يحمل أبعادا توسعية غير منظورة .

– جاء القرآن الكريم بما اعتاده الناس في ضرب المثل شكلا و مضمونا .

– أراد الله سبحانه وتعالى في ضرب الأمثال استيقاظ الغافل ،وتنبيه المتردد ، و نتائج للمؤمن ، و الكافر .

_ ورد المثل مفردا في بعض السور ، وورد جمعا ، وورد مضافا ، وفق الحالة التي أراد معالجتها.

– إن ورود الأمثال في القرآن الكريم وفق ما بيناه في السور السابقة دليل ، وحجة فيما أعتاد الناس في خطابهم ، وفي كل مناحي حياتهم .

– هذه الأمثال هي نتيجة لتجارب سابقة ، وعلى المعتبر الوقوف عندها ، وهي عظة لمن له بصيرة

الهوامش :

[1] -- المبرد / أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب ، ص 146 ، تحقيق : مجمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة 1994 م .
-2 ابن منظور / لسان العرب ، تحقيق : عبدالله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة
3 –الأمثال في القرآن- ابن قيم الجوزية ، 1 / 9
4 - الأمثال القرآنية القياسية للجربوع ، 1/ 4 .
5 - الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية ، دكتور :علاء إسماعيل الحمزاوي أستاذ العلوم اللغوية المساعد بكلية الآداب جامعة المنيا ، 1 / 14
6 - [التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»]- ص : 215 / 2
المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - : 1984 هـ ..
7 – التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المؤلف : د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر ، 1/ 628
8 - التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف : د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر) ، 2 / 535
9 - البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، 3 / 421
10 - التحرير والتنوير ، 13 / 144
11 - التحرير والتنوير ، 14 / 186
12 - أيسر التفاسير المؤلف : أسعد حومد ، 1 / 1273
13 - التحرير والتنوير ، 14 / 189 .
14 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م
الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، 3 / 75
15 - التفسير القرآني للقرآن - ، المؤلف : الدكتور / عبد الكريم الخطيب ، دار النشر : دار الفكر العربي – القاهرة ، 10 / 434 .
16 - لتحرير والتنوير ، 22 / 358 .
17 - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد
المؤلف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، الناشر : الدكتور : حسن عباس زكى ، مكان الطبع : القاهرة سنة الطبع : 1419 هـ ، تحقيق : أحمد عبد الله قرشى رسلان ، ص 7 / 6 .
18 - الدر المنثور ، المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي
الناشر : دار الفكر - بيروت ، 1993 ، ص 8 / 154 .
19 - تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن
المؤلف : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله .
20 - التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)
ص 1 / 2375 .
21 - تفسير الفخر الرازي ، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى : 606هـ) ، ص 19 / 95 .
22 - لتحرير والتنوير ، ص 14 / 223 ,
23 - لتحرير والتنوير ، ص 15 / 122 .
24 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م
الطبعة : الأولى ، حقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ص 5 / 75 .
25 - التفسير الواضح ، المؤلف : الدكتور / محمد محمود حجازى ، 1 / 1762
26 - تفسير القرآن الكريم - ابن القيم ، المؤلف : محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار ومكتبة الهلال ، ص 1 / 427 .
27 -- لتحرير والتنوير ، 28 / 116 .
28 - - لتحرير والتنوير ، 8 / 44 .
29 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
30 - البحر المديد - تفسير ابن عجيبة ، المؤلف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت